Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 39:4 (2004)

الإمام العراقي وأعماله في الحديث وعلومه

ساجد الرحمن الصديقي

هو الحافظ الحجّة أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن الشافعي الشهير بالحافظ العراقي، ولد في الحادي عشر من جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة (٧٢٥) من الهجرة[١]، في رازنان من أعمال أربل، والعراقي نسبة إلى عراق العرب. أقام سلفه ببلدة رازنان ولهم هناك مناقب ومآثر إلى أن تحول والده إلى مصر مع بعض أقربائه[٢].

ولما أقام والده في مصر اختص هناك بخدمة الشيخ الشريف تقي الدين محمد بن جعفر بن محمد بن الشيخ عبد الرحيم بن حجون القناوي الشافعي شيخ خانقاه رسلان، بمنشية المهراني على شاطئ النيل بين مصر والقاهرة، ولازمه مدّة، ثم إن الله تعالى قد رزقه قرينةً صالحةً عابدةً قانعةً مجتهدةً في أنواع القربات[٣]، فكانت له خير عوْنٍ وسنداً؛ كما كان هو دائماً سباقا إلى الخيرات، كثير الدعاء يسأل الله الخير في الدنيا والآخرة. وقد حدث أن شاهد من شيخه كراماتٍ جمةً ومكارم عدةً، منها أنه لما حملت زوجته، ربما كانت تشتهي الشيء فتستحيي من ذكره له، فكان الشيخ تقي الدين يأمره فيأتي به إليه فيتناول منه القليل ثم يُرسل إليها، فلما جاءها المخاض واشتدّبها الطلق جاءه يسأله الدعاء، فقال: "لابأس بها فقد ولدت عبد الرحيم" فرجع إليها وقد ولدته فسمّاه عبد الرحيم[٤].

١- **الأعلام**: لخير الدين الزركلي، ٣٤٤/٣، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م و **الضوء اللامع في أعيان المائة التاسع**: ١٧١/٢، طبعة القاهرة، ١٣٥٣هـ/ ١٣٥٥هـ، مصر، **والبدر الطالع**: للشوكاني، ٣٥٤/١، الطبعة الأولى، طبعة بيروت، ١٣٤٨هـ. **شذرات الذهب**: لابن العماد الحنبلي، ٥٤/٧، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٧٩م.

٢- **الضوء اللامع**: ١٧١/٢.

٣- **الضوء اللامع**: ١٧١/٢.

٤- **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفّاظ**: محمد بن فهد، ٢٢١، طبعة دمشق.

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

وكان من عادة أبيه أن يجيئ به إلى شيخه كلما سنحت الفرصة ويقدّمه إلى حضرته، فكان الشيخ يلاطفه دائماً ويداعبه ولَّما توفي والد العراقي وهو في الثالثة من عمره صار من بعد موته كثير اللجوء عند الشيخ تقي الدين(٥).

نشأته العلمية:

وقد رُزق العراقي بخصال ومحامد طيبة فقد حفظ القرآن الكريم وهو ابن ثمان(٦) وحفظ أكثر **الحاوي** وكان قد حفظ جميعه في شهر واحد، إلا أنه أكمله بعد اثني عشر يوماً، وعُدَّ ذلك في كرامات البرهان الرشيدي فإنه لما استشاره فيه، قال: "إنه غير ممكن" فقال: "لا بد لي من حفظه" فقال: "افعل ما بدا لك ولكنك لا تتمه"، وكذا حفظ **الإلمام** لابن دقيق العيد، وكان يحفظ منه في اليوم أربعمائة سطر(٧).

وكان أول اشتغاله بالعلم القراءات، ومن شيوخه فيها ناصر الدين محمد بن أبي الحسن بن عبد الملك بن سمعون، أحد القدماء، والشيخ برهان الدين إبراهيم بن لاجين الرشيدي، والسراج عمر بن محمد الدمنهوري والشهاب أحمد بن يوسف السَّمِين، ومع ذلك لم يتيسر له إكمال القراءات السبعة إلا على التقي الواسطي في إحدى مجاوراته بمكة(٨). وكان متشوّقاً إلى الاجتماع بالأستاذ أبي حيان والأخذ عنه: فبلغه سوء خلقه وحطّه من قدر الفقراء فغيّر من أجل ذلك عزمه ورغبته غِيرةً على الفقراء لصحبته إياهم وخدمته لهم(٩).

وبعد ذلك شرع العراقي في الأخذ بعلم الفقه وأصوله، فحضر في الفقه دروس ابن عدلان، ولازم العماد محمد بن إسحاق البليسي، والجمال الأسنوي، وعنه وعن الشمس بن اللبّان أخذ الأصول وتقدّم فيهما(١٠).

٥- **الضوء اللامع**: ١٧١/٢، **لحظ الألحاظ**: ٢٢١/٢.

٦- **الضوء اللامع**: ١٧١/٢، **لحظ الألحاظ**: ٢٢٢/٢.

٧- **لحظ الألحاظ**: ٢٢١/٢، **البدر الطالع**: ٣٥٤/١.

٨- **الضوء اللامع**: ١٧١/٢، **لحظ الألحاظ**: ٢٢٢/٢.

٩- **لحظ الألحاظ**: ٢٢٢/٢.

١٠- **لحظ الألحاظ**: ٢٢٢/٢.

انصراف همته إلى الحديث:

وحينما كان العراقي مشتغلاً في تحصيل علم القراءات أشار عليه العزّ بن جماعة بقوله: "إنَّ علم القراءة علم كثير التعب قليل الجدوى وأنت متوقّد الذهن فاصرف همتك إلى الحديث". فشرع من ذلك الوقت في أخذ الحديث وعلومه، وذلك في سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة (٧٤٢) من الهجرة. فأخذ بالقاهرة عن الشيخ علاء الدين التركماني وعليه تخرَّج وانتفع، فسمع عليه وعلى ابن شاهد الحبيش **صحيح البخاري**، وعلى ابن الهادي **صحيح مسلم**، وعلى أبي الفتح الميدومي جملة، وهو أعلى من أخذ عنه مع أنه كان بإمكانه أن يسمع من عدة من أصحاب النجيب ممن هو أكثر سماعاً من الميدومي، وأخذ عن جماعة من مشائخ مصر والقاهرة، وقام برحلة علمية في طلب الحديث كذلك إلى الحجاز والشام وفلسطين فأخذ ببيت المقدس وبمكة عن الصلاح العلائي وبالشام عن التقي السبكي(١١).

ثم لما رأى العزّ بن جماعة من حرصه في طلب الحديث وجمعه على طريقة أهله علَّمه تلك الطريقة. فحبَّب الله له ذلك ولازمه وأكبّ عليه حتى غلب عليه وتعمّق فيه بحيث صار لا يعرف إلا به وتقدّم فيه حتى كان شيوخُ عصره يبالغون في الثناء عليه بالمعرفة والإطلاع. فقد أثنى على معرفته بالحديث السبكي والعلائي وابن جماعة وابن كثير ووصفه الإسنائي "بحافظ الوقت". وقال العزّ بن جماعة: "كل من يدّعي الحديث بالديار المصرية سواه فهو مُدَّعٍ". وكان الإسنوي يثنى على ذهنه الثاقب وعقله الأخّاذ ويستحسن كلامه في الأصول ويصغي لمباحثه فيه(١٢).

رحلته في طلب العلم:

كانت الرحلة في طلب الحديث من لوازم طريقة المحدّثين ومنهجهم في التحصيل العلمي، فقد رحلوا المسافات البعيدة طلباً للحديث وبحثاً عن الأسانيد، بل عن إسناد الحديث الواحد في كثير من الأحيان وفي طلب عُلُوِّ الإسناد في بعض الأحيان. وما ذلك إلاّ امتثالا لأمر الله وتحقيقا لما حثّ عليه الرسول صلى الله عليه وسلم(١٣)، فقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿ **فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوْا فِي الدِّيْنِ** ﴾ (التوبة: ١٢٢)، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "من

١١- **الضوء اللامع**: ١٧٢/٢، **لحظ الألحاظ**: ٢٢٢/٢، **التبصرة والتذكرة** للعراقي (شروحه على ألفية)، ط/ فاس، ١٣٥٤هـ، ١٠/١.

١٢- **الضوء اللامع**: ١٧٣/٢.

١٣- **الرحلة في طلب الحديث** للخطيب البغدادي ـ بتحقيق: نور الدين عتر: ١٦، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م.

سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة" ولذلك قال الإمام ابن الصلاح: إذا فرغ من سماع العوالي والمهمّات التي ببلده فليرحل إلى غيره"(١٤).

فقد اشتغل العراقي في طلب الحديث في مصر والقاهرة، وأقدمُ سماعٍ وُجد له كان سنة ٧٣٧هـ، أي لما بلغ سِنَّ اثنتي عشرة من عمره، وفي السنة السابعة عشرة أقبل بجِدّ واجتهاد على طلب الحديث. ثم رحل إلى دمشق ولقي بها عدة شيوخ وسمع منهم، منهم محمد بن إسماعيل الخبّاز الذي قرأ عليه **صحيح مسلم** في ستة مجالس متوالية، قرأ في آخر مجلس منها أكثر من ثلث الكتاب بحضور الحافظ زين الدين بن رجب. ثم رحل إلى حلب ونابلس وبيت المقدس وفي خاتمة المطاف توجّه إلى مكة المكرمة وإلى المدينة المنوّرة. ثم رجع إلى بلاده وارتحل بعد ذلك مرتين لطلب الحديث. وفي سنة ٧٦٥هـ انتقل بأولاده إلى الشام لإسماعهم الحديث وبعده عاد إلى مسقط رأسه. ولم يكتف بما عنده من العلم بل كان دائما يطلب الزيادة حيثما سنحت له الفرص. وبعد هذه الأسفار كلها في طلب الحديث وعلومه استقر أخيراً في الشام سنة ٧٥٤ من الهجرة وأراد أن يسافر إلى بغداد وإلى تونس لسماعِ الموطّأ على خطيب جامع الزيتونة في ذلك الوقت، ولكنه لم يقدر على هذا. وكان كثير الأسفار في طلب العلم حتى لم تخل له سنة غالباً من الرحلة إما لطلب الحديث وإما للحجّ(١٥).

مناصبه وتدريسه:

صار العراقي إمام عصره في الحديث ومرجع الخلائق في علومه فأفاد من علمه تخريجاً وتأليفاً وإملاءً وتدريساً. فولي التدريس بأماكن منها: دار الحديث الكاملية، والظاهرية القديمة، وجامع ابن طولون. وحجّ مراراً وجاور بالحرمين وحدّث فيهما الحديث النبوي صلى الله عليه وسلم ووَلِيَ الخطابة والوعظ والإمامة. وفي سنة ٧٨٨هـ. وَلِيَ القضاء بالمدينة المنوّرة فقام بأعباء الوظيفة ثلاث سنوات وكان إماماً في ذلك الوقت بالمدينة المشرّفة(١٦).

قال تلميذه الحافظ ابن حجر العسقلاني: "شرع الحافظ العراقي في إملاء الحديث سنة ٧٩٦هـ. فأحيا الله تعالى به السنّة المشرّفة بعد أن كانت دائرة، فأملى أكثر من أربعمائة مجلس غالبها

١٤- **علوم الحديث**: لابن الصلاح، ٢٢٢، تحقيق: نور الدين عتر، طبعة حلب، سنة ١٣٥٠هـ، والحديث "من سلك طريقاً..." مذكور في **صحيح مسلم** برقم: ٢٦٩٩، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م، دار إحياء التراث العربي بيروت.

١٥- **الضوء اللامع**: ١٧٢،١٧٣/٢، **لحظ الألحاظ**: ٢٢٣،٢٢٤/٢، **التذكرة والتبصرة** للعراقي، ١١/١، ١٢، **أنباء الغمر في أبناء العمر**: ابن حجر العسقلاني، ص/٢٧٦، طبعة القاهرة، سنة ١٩٢٩م، مصر.

١٦- **الضوء اللامع**: ١٧٤/٢.

من حفظه، كلها متقنة مهذّبة كثيرة الفوائد الحديثية". وقال السيوطي في **التدريب**: "كان الإملاء قد اندرس بعد موت ابن الصلاح إلى أواخر أيام الحافظ العراقي فافتتحه سنة ٧٩٦هـ. ولهذا سُمِّيَ مُجدِّد المائة الثامنة، فأملى بعدة أماكن بالمدينة المنوّرة، أملى بها الأربعين العشارية بين القبر والمنبر". وقال ابن فهد: "شرع العراقي في الإملاء من سنة ٧٩٥هـ إلى أن مات، فأملى أولاً أشياء متفرقة ثم أملى **الأربعين النووية** ثم أملى **أمالي الرافعي** ثم شرع يملي من تخريج **المستدرك**"(١٧).

نبوغه في الحديث وعلومه وثناء الأشياخ عليه:

إن الله سبحانه وتعالى لما وهب العراقي التخصص في الحديث والتعمق في علومه أودع في قلبه حب الحديث الشريف وسهّل عليه طرقه فصرف جل أوقاته في طلبه حتى صار معرُوفاً به عند الناس ويشار إليه فيه بالبنان. وقد سمّى نفسه بـ "الأثري" أي صاحب الحديث، فيقول في مطلع **ألفيته** التي نظّمها في علوم الحديث:

يقول راجي ربّه المقتدر عبد الرحيم بن الحسين الأثري.

ولما أخذ الحديث عن شيخ الإسلام تقي الدين السبكي ورأى السبكي من ذكائه ما أوجب له منقبة وفضلاً وميّزهُ عن أقرانه ذكره في درسه معظّماً له، منوّهاً بقدره، مفتخراً بتتلمذه على يديه، واصفاً له بالمعرفة والإتقان والفهم(١٨). ومن تعظيمه له أنه لما قدِم القاهرة سنة ٧٥٦هـ. أراد أهل الحديث السماع عليه، وكان الحافظ العراقي إذ ذاك بالإسكندرية، فقال: "لا أُسمِع إلا بحضوره" فمات السبكي قبل أن يصل ولم يحدّثهم.

وكذا ذكره الحافظ صلاح الدين العلائي بعظيم شأنه ووصفه بالفهم والمعرفة والإتقان والحفظ. وكان الإسنوي يستحسن كلامه ويصغي إلى مباحثه، ويقول: "إن ذهنه صحيح لا يقبل الخطأ" وذكره في ترجمة الحافظ أبي الفتح ابن سيد الناس، فقال: "وشرح ابن سيد الناس جزءا من **جامع الترمذي** في مجلدين، وقد شرع في إكماله حافظ الوقت زين الدين العراقي إكمالا مناسبا لأصله"(١٩).

وذكره ابن الجزري في **طبقات القرّاء** فقال عنه: "حافظ الديار المصرية وشيخها"، وقال التقي الفاسي في **ذيل التقييد**: "كان حافظاً متقناً عارفاً بفنون الحديث والفقه والعربية"(٢٠).

١٧- **الضوء اللامع**: ٢/١٧٤، **التبصرة والتذكرة**: ١٦.

١٨- **لحظ الألحاظ**: ٢/٢٢٣.

١٩- **لحظ الألحاظ**: ٢/٢٢٦.

٢٠- **الضوء اللامع**: ٢/١٧٦.

وقد شهد له بالامتياز في عصره جمع من حفاظ وقته، منهم السبكي والعلائي والعز بن جماعة وابن كثير. فقال الحافظ تقي الدين بن رافع ـ وهو بمكة سنة ٧٦٣هـ ـ وقد مرَّ به الشيخ عبد الرحيم: "ما في القاهرة محدّث إلا هذا والقاضي العزّ بن جماعة، فلما بلغه وفاة القاضي عز الدين وهو بدمشق، قال: "ما بقي الآن بالقاهرة محدّث إلا الشيخ زين الدين العراقي"(٢١).

أخلاقه وسيرته:

وكان العراقي في أعلى منزلة من الأخلاق وحسن السيرة، وكان كثير الحياء والحلم والتواضع محافظاً على الطهارة نقي العرض وافر الجلالة والمهابة على طريق السلف، يقضي غالب أوقاته في التأليف أو العبادة، يقوم بالليل ويكثر الصيام بالنهار، كريم الأخلاق حسن الشِيَمِ والأدب وضّاء الوجه كأنه مصباح من نور، ومن رآه عرف من أول نظرة أنه رجل صالح(٢٢). كان ذهنه في غاية الصحة ونقْلُه نَقْرٌ في حَجَرٍ مُنوَّر الشيبة جميل الصورة كثير الوقار نزر الكلام طارحاً للتكلف ضيّق العيش لطيف المزاح سليم الصدر وكان كثير الحياء، قلَّ أن يواجه أحداً بما يكرهه ولو آذاه، متواضعاً مُنْجَمِعًا حسن النادرة والفكاهة، صار قيام الليل له كالمألوف، وإذا صلى الصبح استمر غالباً في مجلسه مستقبل القبلة تالياً ذاكراً إلى أن تطلع الشمس، ويتطوّع بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وستة من شوّال، كثير التلاوة إذا ركب(٢٣).

وقد حدث أن وقف النيل سنة ٨٠٦هـ. وأجدب أكثر البلاد ووقع الغلاء المفرط، فأملى قصيدةً، وكان آخر ما أملاه، مطلعها:

أقول لمن يشكو توقُّفَ نيلنا سَلِ اللهَ يُمدِدْه بفضل وتأييد

ويقول في آخرها:

وأنت فغفّار الذنوب وساتر العيوب وكشّاف الكُروب إذا نودي

وصلى بالناس صلاة الاستسقاء وخطب خطبةً بليغةً فرأوا البركة بعد ذلك من كثرة الشيء ووجوده، وجاء النيل في تلك السنة عالياً(٢٤). ولم تطل حياته بعد ذلك وانتقل إلى رحمة الله الكريم في سنة ٨٠٦هـ(٢٥).

٢١- **لحظ الألحاظ**: ٢٢٧/٢.

٢٢- **لحظ الألحاظ**: ٢٢٩/٢، **الضوء اللامع**: ١٧٥/٢، **البدر الطالع**: ٣٥٥/١.

٢٣- **الضوء اللامع**: ١٧٥/٢، **البدر الطالع**: ٣٥٥/١.

٢٤- **الضوء اللامع**: ١٧٤/٢.

٢٥- **الأعلام**: ٣٤٤/٣، **معجم المؤلفين**: لعمر رضا كحالة،٢٠٤/٥، مكتبة المثنى، بيروت، **الضوء اللامع**: ١٧٤/٢، **شذرات الذهب**: ٥٥/٧.

شيوخه:

لقد كان الإمام العراقي بارعاً في الحديث نابغة في الفقه وأصوله، وقد حصل العلم عن شيوخ كثيرين يطول بنا ذكرهم وإحصاؤهم جميعا، إلا أننا نكتفي بذكر ثلاثة منهم ممّن نبغوا في عصرهم، وأخذ عنهم العراقي قدراً كبيراً من العلم ولازمهم مدة طويلة. وهم السبكي والعلائي والعزّ بن جماعة.

عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي أبو نصر (٧٢٧ – ٧٧١هـ).

ولد رحمه الله في القاهرة سنة ٧٢٧هـ. وانتقل مع والده إلى دمشق. وكان طلق اللسان قوي الحجّة، انتهى إليه قضاء القضاة في الشام، وقد أخذت شيوخ عصره العصبية فشدّدوا عليه واتهموه بالكفر واستحلال شرب الخمر. وقد قال ابن كثير: "جرى عليه من المحن والشدائد مالم يجر على قاضٍ مثله". من تصانيفه: **طبقات الشافعية**(٢٦).

خليل بن كَيْكَلْدِيّ بن عبد الله العلائي، أبو سعيد صلاح الدين الدمشقي (٦٩٤– ٧٦١هـ).

محدّث فاضل بحّاث ولد وتعلّم في دمشق ورحل رحلة طويلة في طلب العلم ثم أقام في القدس مدرساً في "الصلاحية". فاق أهل عصره في الإتقان وبرع في الفقه والأصول ونبغ في الحديث والرجال. لم يخلف بعده مثله في الحديث. توفي في القدس سنة ٧٦١هـ(٢٧).

عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني عزّ الدين ٦٩٤– ٧٦٧هـ.

ولد في دمشق سنة ٦٩٤هـ. ثم تحول إلى بغداد، ونشأ في العلم والحب لأهل الخير والصلاح، درس وأفتى وألف تآليف جمة أجاد فيها وأحسن وسار سيرة حسنة في القضاء. وكان حسن المحاضرة سليم الصدر، شديد التصميم في الأمور التي تصل إليه. ولي قضاء الديار المصرية سنة ٧٣٨هـ، وجمع شيئاً على **المهذب** وخرَّج أحاديث الرافعي، جاور بالحجاز فمات بمكة سنة ٧٦٧هـ(٢٨).

تلامذته:

كان الحافظ العراقي بارعاً في العلوم جامعا متقناً لأشتات الفنون، وقد استقى علمه من ينابيع عديدةً، فصرف همّه، وبذل وقته وأفنى عمره في تحصيله وتعليمه، وانفرد في عصره بالإملاء،

٢٦– **الأعلام**: ١٨٤/٤، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** لابن حجر العسقلاني، تحقيق: الكرنكو، دار الجيل، بيروت، (د. ت)، ٤٢٥/٢، **شذرات الذهب**: ٢٢١/٦.

٢٧– **الأعلام**: ٣٢١/٢، **الدرر الكامنة**: ٩٠/٢، **ذيلا طبقات الحفاظ** للحسيني والسيوطي: ٤٣، ٣٦٠، طبعة مصر، **شذرات الذهب**: ١٩٠/٦.

٢٨– **الأعلام**: ٢٦/٤، **الدرر الكامنة**: ٣٧٨/٢، **شذرات الذهب**: ٢٧٨/٦.

فقصده الناس من مختلف الأنحاء للسماع عليه والأخذ عنه. فاستفاد من خلق كثير حتى أخذ عنه بعض شيوخه. وإذا أردنا ذكر تلامذته بأجمعهم فإن الأمر يطول بنا، وإنما نكتفي بذكر ثلاثة ممن نبغوا في العلوم في ذلك العصر وبرعوا في الحديث وعلومه، وصاروا أقطاب الحديث في القرن التاسع وهم أبو زرعة ولدهُ، والهيثمي صهره، وفقيد الأمة الحافظ ابن حجر العسقلاني. وأما مناسبة اختيارهم وذكرهم هنا في هذا المقام فلأنهم لازموا العراقي مدة طويلة، فولده أبو زرعة نشأ نشأة علمية في حجره، ورباه تربية حسنة، فاستفاد من والده كثيراً واستقى من ينابيعه طول عمره، وأما رفيقه وصهره الهيثمي فقد كان كذلك ملازما له طوال عمره ومصاحبا له في جميع أسفاره، وهو من أخصهم به، والحافظ ابن حجر العسقلاني لازمه كذلك عشر سنوات كاملة.

أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين، أبو زرعة الشافعي (٧٦٢– ٨٢٦هـ).

ولد أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم في القاهرة سنة ٧٦٢هـ، اعتنى به والده كثيراً ثم رحل به إلى دمشق، وهناك قرأ على أعيان علمائها ثم عاد إلى مصر واجتهد في استيفاء شيوخ الديار المصرية. وتدرّب في رعاية والده على كسب المهارة في الحديث وفنونه وكذا في غيرها من الفقه والأصول والعربية والمعاني والبيان وبرع في جميع ذلك وشارك غيرها من الفضائل واستمر في ترقيه العلمي لما ميّزه الله به من قريحة خصبة وذكاء وقّاد حتى ساد وظهرت نجابته ونباهته واشتهر فضله.

ولما توجه والده لقضاء المدينة المنورة وخطابتها، قام بجميع وظائفه من الدرس والإملاء، ثم أضيفت إليه مسؤوليات أدبية علمية أخرى بعد موت أبيه، كما أضيف إليه كذلك في بعض الأوقات قضاء "منوف"، ثم إنه انصرف عن ذلك وفرّغ نفسه للإفتاء والتدريس والتأليف. ثم تولّى قضاء الديار المصرية فسَار فيه أحسن سيرة عِفةً ونزاهةً وحرمةً وصرامةً وشهامةً ومعرفةً، مع عزم وتصميم وحزم في الحق، وعدم مداراته لأهل الدولة حتى شق عليهم، فتمالؤا عليه فعزل من منصبه. ومات سنة ٨٢٦هـ. ألَّف كتباً عديدةً منها: **البيان والتوضيح لمن أخرج له في الصحيح وقد مُسَّ بضرب من التجريح**[٢٩].

علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي ٧٣٥– ٨٠٧هـ.

ولد أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي في سنة ٧٣٥هـ. صحب العراقي فلم يفارقه في سفر ولا حضر حتى مات وحجّ معه سائر حجّاته ورحل معه سائر رحلاته وسمع جميع ما سمعه. وكان ملازماً له مبالغاً في خدمته. وكان العراقي يحبّه كثيراً ويرشده إلى التأليف، ويعلّمه كيفية

٢٩– **لحظ الألحاظ**: ٢٨٤/٢، **البدر الطالع**: ٧٢/١، **الضوء اللامع**: ٣٣٦/١، **الأعلام**: ١٤٨/١.

التخريج ويؤلف له الخطب لتآليفه. وكان خيِّراً ساكناً ليّناً سليم الفطرة، شديد الإفكار وكان كثير الاستحضار للمتون والآثار. له كتب وتخاريج في الحديث. منها: **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** توفي في ليلة التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة ٨٠٧هـ(٣٠).

أحمد بن علي بن محمد، شهاب الدين، ابن حجر العسقلاني ٧٧٣- ٨٥٣هـ.

هو الحافظ الكبير الشهير الإمام المنفرد بمعرفة الحديث وعلله في الأزمنة المتأخّرة المعروف بابن حجر العسقلاني، ولد سنة ٧٧٣هـ. ونشأ يتيماً فحفظ القرآن وهو ابن تسع ثم حفظ **العمدة**، **وألفية الحديث** للحافظ العراقي، ثم حبب الله إليه فنّ الحديث فأقبل إليه بكلية. فعكف على العراقي وحمل عنه جملةً صالحةً من علم الحديث سنداً ومتناً وعللاً واصطلاحاً، وارتحل في طلب الحديث زمناً طويلاً إلى بلادٍ كثيرة. تصدى لنشر الحديث وقصر نفسه عليه وتفرّغ له حتى تفرّد بذلك وشهد له بالحفظ والإتقان القريبُ والبعيد، والعدوُّ والصديق، حتى صارت كلمة "الحافظ" التي أطلقت عليه كلمةَ إجماع. لا زم شيخه الحافظ العراقي عشر سنين وقرأ عليه كثيراً من الأسانيد والأجزاء. له عشرات من الكتب وكلها جليلة القدر عظيمة المنفعة. وانتشرت مؤلفاته في عصره، وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر منها: **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، **ونزهة النظر في توضيح نخبة الفكر**، توفي رحمه الله سنة ٨٥٢هـ(٣١).

آثاره العلمية:

وقد تصدّى الحافظ العراقي إلى التأليف وتخريج الأحاديث، فألّف جملة صالحة من المؤلفات التي نالت بعض منها التلقّي بالقبول وكتِب لها البقاء على الدوام وكان لها الأثر البالغ في حسن الإفادة، فطبعت عدة مرات، بينما لم يطبع البعض الآخر. وحتى يتبيّن لنا مدى طول باع هذا الإمام العظيم في العلم، يجدر بنا أن نلقي الضوء على مؤلفاته هذه:

١- إخبار الأحياء بأخبار الإحياء:

في أربع مجلدات. فرغ من تسويده سنة ٧٥١هـ وصل فيه إلى آخر الحج ولكنه لم يكمله(٣٢).

٣٠- **الأعلام**: ٢٦٦/٤، **لحظ الألحاظ**: ٢٣٩، **ذيل طبقات الحفاظ** للسيوطي: ٣٧٢، **الضوء اللامع**: ٢٠٠/٥.

٣١- **الأعلام**: ١٧٨/١، **البدر الطالع**: ٨٧/١، **الضوء اللامع**: ٣٦/١.

٣٢- **لحظ الألحاظ**: ٢٣٠/٢.

٢- **المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار:**

اختصره من تخريجه المطوّل المشار إليه أولاً. يقول الكاتب جلبي بأن العراقي ألّف كتابين في تخريج أحاديث **الإحياء** أحدهما كبير وهو الذي ألّفه في سنة ٧٥١هـ. ولكن تعذّر له الوقوف فيه على بعض أحاديثه، ثم إنه لما ظفر بكثير ممّا غرب عنه صنّف صغيره المسمّى: **المغني عن حمل الأسفار** في سنة ٧٦٠هـ. وقد طبع الكتاب على هامش **الإحياء** للغزالي(٣٣).

٣- **الكشف المبين عن تخريج إحياء علوم الدين:**

وقد شرع في مؤلف متوسط بين المطوّل والمختصر. فذكر فيه أشهر أحاديث الباب. وكتب منه شيئاً يسيراً(٣٤).

٤- **تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد:**

وقد طبع هذا الكتاب مع شرحه.

٥- **اختصار تقريب الأسانيد:**

اختصره في نحو نصف حجمه.

٦- **شرح تقريب الأسانيد:**

شرح قطعة صالحة في قريبٍ من المجلد، ثم أكمله بعده ولدُه الحافظ أبو زرعة(٣٥).

٧- **التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من مقدّمة ابن الصلاح:**

شرح وجيز متين على علوم الحديث، الشهير بالمقدّمة لابن الصلاح وسمَّى هذا الشرح باسم **النكت على مقدّمة بن الصلاح** أيضاً. وقد طبع باعتناء الأستاذ محمد راغب الطبّاخ معتمداً على النُّسَخ الخطية الموجودة بحلب بخط الحافظ الكبير الشيخ ابن حجر العسقلاني، حررها بثغر "عدن" سنة ٨٠٦هـ. وكان قد قرأ الشرح كله على مؤلفه وعلى النسخة الخطية المكتوبة بخط العلاّمة نور الدين التلواني من المطبعة العلمية، بحلب سنة ١٣٥٠هـ(٣٦).

٣٣- **لحظ الألحاظ**: ٢٣٠/٢، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: لحاجي خليفة، مكتبة المثنى بيروت، ٢٤/١، **وإحياء علوم الدين**: للغزالي، دار المعرفة، بيروت.

٣٤- **لحظ الألحاظ**: ٢٣٠/٢، **أنباء الغمر**: ٢٧٦، **الضوء اللامع**: ١٧٣/٢.

٣٥- **لحظ الألحاظ**: ٢٣٠/٢، **طرح التثريب في شرح التقريب**: للعراقي، ٧/١-٩، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت.

٣٦- **كشف الظنون**: ١١٦٣/١، **التبصرة والتذكرة**: ١٧/١.

٨- **الألفية:**

في علوم الحديث، طبعت مجرّدة ومع شروحها[٣٧].

٩- **التبصرة والتذكرة:**

شرح الحافظ العراقي ألفيته شرحاً طويلاً ولكنه لم يكمله، ثم كتب عليها شرحاً متوسطاً شاع في أيدي الناس وذاع. وقد طبع هذا الشرح مع **فتح الباقي على ألفية العراقي** لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، من الأصل المحفوظ بالخزانة الكتانية، بالمطبعة الجديدة، فاس، ١٣٥٤هـ.

١٠- **النجم الوهّاج في نظم المنهاج:**

قد نظم الحافظ العراقي **المنهاج** للبيضاوي في ألف وثلاثمائة وسبعة وستين بيتاً، وخرّج أحاديثه أيضاً، وقد شرح هذا النظم كاملاً ابنه الحافظ أبو زرعة[٣٨].

١١- **الدرر السنية في نظم السير الزكية:**

طبعت بالرباط[٣٩]. وقد شرحها زين العابدين عبد الروؤف المناوي م ١٠٣١هـ شرحاً مبسوطاً ثم لخّصه وسمّاه: **الفتوحات السبحانية**[٤٠].

١٢- **الألفية في غريب القرآن:**

لم تُطبع والتي طبعت بهامش التيسير في علوم التفسير، إنما هي لولده الحافظ أبي زرعة[٤١].

١٣- **نَظَم كتاب الاقتراح:**

لابن دقيق العيد[٤٢] في ٤٢٧ بيتًا شرح منه مواضع متفرّقة ولده الحافظ أبو زرعة.

١٤- ذيْل على **الميزان**؛ كَتَبَهُ ولكن لم يبيّضه[٤٣].

١٥- ذيْل على **العبر في خبر من غبر** للذهبي. ذيّله العراقي وذيّل على ذيله ولدُه أبو زرعة[٤٤].

٣٧- **كشف الظنون**: ٤٦٤/١، **التبصرة والتذكرة**: ١٦/١.

٣٨- **لحظ الألحاظ**: ٢٣٠/٢، **الضوء اللامع**: ١٧٣/٥، **التبصرة والتذكرة**: ١٧/١.

٣٩- **الضوء اللامع**: ١٧٣/٥، **التبصرة والتذكرة**: ١٧/١.

٤٠- **كشف الظنون**: ٧٤٧/١.

٤١- **كشف الظنون**: ١٢٠٨/٢، **التبصرة والتذكرة**: ١٧/١.

٤٢- **كشف الظنون**: ١٣٥/١.

٤٣- **كشف الظنون**: ١٩١٧/٢.

٤٤- **كشف الظنون**: ١١١٤/٢.

١٦- **الأحاديث المخرّجة في الصحيحين التي تكلّم فيها بضعف وانقطاع**. ولكن لم يبيّضه.

١٧- **إحياء القلب الميت بدخول البيت.**

١٨- **المورد الهَنِي في المولد السَّنِي.**

١٩- **محجة القرب إلى محبة العرب:**

كتاب في علم الحديث وهو صغير الحجم جداً. وقد طبع في الهند(٤٥).

٢٠- **الإنصاف**: وهو كتاب في المراسيل.

٢١- **قرة العين بوفاء الدين**(٤٦).

٢٢- **الاستعاذة بالواحد من إقامة جمعتين في مكان واحد.**

٢٣- **ترجمة الإسنائي.**

٢٤- **تفضيل زم زم على كل ماء قليل زم زم.**

٢٥- **مسألة الشرب قائماً.**

٢٦- **الجواب عن سؤال يتضمن تاريخ تحريم الربا.**

٢٧- **فضل حراء.**

٢٨- **طرق حديث: من كنت مولاه فعلي مولاه.**

٢٩- **الكلام على حديث التوسعة يوم عاشوراء.**

وقد رد الحافظ العراقي في هذا الكتاب على ابن تيمية وهو ينكر ورود الحديث في ذلك بتاتاً.

٣٠- **الكلام على صوم ست من شوال.**

٣١- **مسألة قص الشارب.**

٣٢- **أجوبة ابن العربي.**

٣٣- **الكلام على حديث: "الموت كفارة لكل مسلم".**

٣٤- **الكلام على الأحاديث التي تكلّم فيها بالوضع وهي في مسند الإمام أحمد بن حنبل.**

٣٥- **الكلام على مسألة السجود لترك القنوت.**

٤٥- **التبصرة والتذكرة**: ١٧/١.

٤٦- **كشف الظنون**: ١٣٢٤/٢.

٣٦- **مشيخة القاضي ناصر الدين التونسي.**

٣٧- **ذيل مشيخة القاضي أبي الحرم القلانسي.**

٣٨- **أربعون تساعية للميدومي.**

٣٩- **أربعون عشارية** له أيضاً.

٤٠- **مشيخة ابن القاري عبد الرحمن** خرجها له العراقي[٤٧].

٤١- **تخريج أحاديث المنهاج للبيضاوي.**

٤٢- **الأربعون البلدانية.** انتخبها من صحيح ابن حبان.

٤٣- **معجم مشتمل على تراجم جماعة من أهل القرن الثامن.**

غالبهم شيوخ شيوخه وفيهم من شيوخه أيضاً.

٤٤- **الأربعون التساعية.**

٤٥- **العشرون الثمانية للبياني.**

٤٦- **الكلام على الحديث الوارد في أقل الحيض وأكثره.**

٤٧- **ترتيب من له ذكر تخريج أو تعديل في بيان الوهم والإيهام لابن القطّان.**

٤٨- **تكملة شرح جامع الترمذي لابن سيد الناس.**

كتب جزءاً من هذا الكتاب ولكن لم يكمله. ويوجد منه مجلد في خزانة مكناس[٤٨].

٤٩- **أطراف صحيح ابن حبان.**

٥٠- **رجال سنن الدارقطني.**

٥١- **ذيل مشيخة أبي الحزم**[٤٩].

٥٢- **ذيل مشيخة ابن رافع**[٥٠].

٥٣- **تتمات المهمات.**

٥٤- **تكملة شرح المهذب للنووي.**

٤٧- **كشف الظنون**: ١٦٩٦/٢.

٤٨- **الضوء اللامع**: ١٧٣/٢.

٤٩- **التبصرة والتذكرة**: ١٨/١.

٥٠- **كشف الظنون**: ٥٥٩/١.

ألفية الحديث ومنهجها في بيان علوم الحديث:

لقد رزق الله سبحانه وتعالى العراقي مهارات طيّبة، فهو مع إتقانه لجميع الفنون وتبحّره في سائر العلوم، شاعر مجيد متقن مطبوع في صناعة الشعر ينظم حين تصفو له قريحة، فيلقيه بالبديهة دون تفكير، ويقول الشعر سلساً بدون تعب وله قدرة تامة على إنشاده، وملكة حسنة في نظم العلوم، مع أن نظم العلوم من أصعب الصناعات، ولا يستطيع أحد أن ينظم فنّاً من الفنون بدون أن يكون له ملكة راسخة في هذا الفن نفسه، وجودة طبْع في الشعر، وصفاء قريحة في نظم الأوابد والشوارد.

نظم الحافظ العراقي ألفيته في علوم الحديث نظما سلساً مسبوكا سبك العسجد، يستطيع الطالب أن يحفظه بسهولة تامة ويستطيع المبتدئ أن يكون بهذه الأرجوزة على وقوف في هذا الفن، ويمكن بها للعالم البصير أن تكون تذكاراً له في مهمات الفن.

ولما هيأه الله تعالى للنبوغ في علوم الحديث أودع حب الحديث النبوي الشريف في قلبه وسهل عليه طرقه، فما كان منه إلاّ أن صرف جل أوقاته فيه حتى كاد لا يعرف إلاّ به. وهكذا لازال يخطو خطى واسعة في هذا الميدان حتى فاق فيه كل أقرانه وحاز قصب السبق بلا نزاع.

وإنه قد نظم علوم الحديث لابن الصلاح الشهير بالمقدّمة وزاد عليها زيادات كثيرة وميّزها بأمور عديدة. ولا شك أنَّ أهمية هذه الألفية تتجلى بأوضح دليل حيث تناولها فحول العلماء ونوابغ المحدّثين بالشرح والتعليق مع الثناء عليه، وتشتمل هذه **الألفية** على اثنين وألف بيت، أولها:

يقول راجي ربّه المقتدر عبد الرحيم بن الحسين الأثري

وآخرها:

وأفضل الصلاة والسلام على النبيّ سيّد الأنام

ويذكر الحافظ العراقي في ألفيته هذه، بعد الحمد لله والصلاة على النبيّ، معظم أنواع الحديث المهمة مع ذكر الكتب الصحاح التي هي ديوان الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر الصحيح الزائد على الصحيحين وأتى ببيان "المستخرجات" و "مراتب الصحيح" ونقل الحديث من الكتب المعتمدة. وقد أورد الحافظ ابن الصلاح هذه الأمور في الأنواع الأولى والثانية والثالثة من مقدمته.

ثم إنه بيّن أقسام الحديث من المرفوع وغيره وذكر بعض الفروع التي تتعلق بالحديث والسنّة. ثم ذكر "المرسل" "والمنقطع" "والمعضل" والأمور المهمة المتعلقة بها. وبيان هذه الأنواع يرد في علوم الحديث لابن الصلاح من النوع الرابع إلى النوع الحادي عشر.

ثم تكلّم عن حكم التدليس في الإسناد، والشذوذ والإنكار اللذيْن يقعان في الرواية. وبعد ذلك بيّن الاعتبار والمتابعات والشواهد، وقد ذكر ابن الصلاح هذه الأنواع في علوم الحديث من النوع الثاني عشر إلى النوع الخامس عشر.

وبعد بيانه حكم زيادات الثقات بيّن حكم الإفراد والمعلل والمضطرب والمدرج والموضوع والمقلوب. وهذه الأمور وردت في علوم الحديث لابن الصلاح من النوع السادس عشر إلى النوع الثاني والعشرين.

وقد اتفق جمهور علماء الحديث والفقه على أنه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلاً وقد بيّن ابن الصلاح هذا الأمر المهم في النوع الثالث والعشرين من كتابه الذي سمّاه: **معرفة صفة من تقبل روايته ومن ترد** وما يتعلق بذلك من قدح وجرح وتوثيق وتعديل، فقد نظم العراقي هذا النوع تحت هذه العناوين الثلاثة: مراتب من تقبل روايته ومن ترد، و مراتب التعديل، ومراتب التجريح.

أصدر ابن الصلاح النوع الرابع والعشرين من كتابه في معرفة كيفية سماع الحديث وتحمّله وصفة ضبطه وقال: "إن طرق نقل الحديث وتحمّله على أنواع متعددة". فبيّن بعد ذلك "صحة التحمّل قبل وجود الأهلية" "واستحباب كتابة الحديث في سنّ العشرين" "وأول زمان يصح فيه سماع الصغير". ثم بيّن بعد ذلك "طرق نقل الحديث وتحمّله" وأنواع التحمّل الثمانية، فنظم العراقي هذه الأمور المهمة كلها في "متى يصحّ تحمل الحديث أو يستحب".

وقد نظم العراقي أقسام التحمل الثمانية وذكر بعد ذلك جملة صالحة من قواعد كتابة الحديث وجاء بالتنبيه لطالب الحديث بأنه يجب عليه أن يحذر من سماع قراءة اللحَّان والمصحِّف. ثم ذكر موضوعات أخرى مما يتعلق بالاختلاف الذي يقع في لفظ الشيوخ. وقد وردت هذه الأمور كلها في علوم الحديث لابن الصلاح في النوعين الخامس والعشرين و السادس والعشرين.

ثم أتى ببيان آداب المحدّث وآداب طالب الحديث. وذكر العالي والنازل من الأسانيد وقد ذكر ابن الصلاح هذه الأنواع في كتابه من النوع السابع والعشرين إلى التاسع والعشرين.

ثم ذكر الغريب والعزيز والمشهور وإن ابن الصلاح قدّم الأخير منها في النوع الثلاثين ثم ذكر الغريب والعزيز في النوع الحادي والثلاثين. وغريب الحديث هو ما يقع فيه من الألفاظ الغامضة البعيدة عن الفهم، أورده ابن الصلاح في النوع الثاني والثلاثين. فنظمه العراقي نظماً بديعاً وذكر أسماء المؤلفين في هذا الفن. ثم ذكر المسلسل من الحديث الذي أورده ابن الصلاح في كتابه في النوع الثالث والثلاثين.

ثم تحدّث الحافظ العراقي بعد ذلك عن الناسخ والمنسُوخ، والتصحيف، ومختلف الحديث، ورد ذكرها في **علوم الحديث** لابن الصلاح في النوع الرابع والثلاثين إلى الثامن والثلاثين.

هذا وموضوع "معرفة الصحابة" موضوع كبير وعلم واسع من جملة علوم الحديث، وقد ألّف العلماء فيه كتباً كثيرة. و "معرفة التابعين" مثل سابقه أصل عظيم في معرفة المرسل والمتصل ذكرهما ابن الصلاح في النوع التاسع والثلاثين والنوع الأربعين ونظمهما العراقي في **الألفية**.

ثم نظم الحافظ العراقي بعد ذلك موضوعات مهمة أخرى في علوم الحديث منها **رواية الأكابر عن الأصاغر**، و **رواية الآباء عن الأبناء**، و **رواية الأقران**، و **رواية السابق واللاحق**، وقد ذكرها ابن الصلاح في كتابه من النوع الحادي والأربعين إلى النوع السادس والأربعين.

وقد عَدّ العلماء "معرفة الوحدان" وهو من لم يرو عنه إلا راو واحد من أهم فنون الحديث، وقد ألف فيه الإمام مسلم بن الحجاج القشيري كتاباً صغيراً طبع على الحجر في مجموعة من الكتب لم يذكر تاريخ طبعها. وذكر ابن الصلاح هذا الأمر المهم في كتابه في النوع السابع والأربعين.

وجاء الحافظ ابن الصلاح في كتابه علوم الحديث ببيان "معرفة من ذكر بأسماء مختلفة أو نعُوت متعددة" في النوع الثامن والأربعين فنظمها الحافظ العراقي فأجاد فيها وأحسن.

وذكر ابن الصلاح في مقدّمته في النوع التاسع والأربعين كذلك بأن معرفة المفردات الأحاد من الصحابة ورواة الحديث وألقابهم وكناهم نوع مليح عزيز، يُوجد في كتب الحفّاظ المصنّفة في الرجال مجموعاً ومفرقاً في أواخر أبوابها. وأُفْرِدَ أيضاً بالتأليف، فقد كتب أحمد بن هارون البرديجي كتابا سمّاه **الأسماء المفردة** وهو من أشهر الكتب في هذا الفنّ وأحسنها و نظم العراقي هذا النوع وسمّاه **بأفراد العلم**.

والنوع الخمسون من علوم الحديث لابن الصلاح يشتمل على بيان **معرفة الأسماء والكنى** ويحتوي النوع الحادي والخمسون على معرفة كُنَى المعروفين بالأسماء دون الكُنَى وكذلك يشتمل النوع الثاني والخمسون على معرفة **ألقاب المحدّثين**. فنظم الحافظ العراقي هذه الأنواع كلها تحت عناوين **الأسماء والكنى والألقاب**.

ثم نظم الحافظ العراقي في ألفيته فنوناً من فنون الحديث المهمة وهي: **المؤتلف والمختلف والمتفق والمفترق**، **وتلخيص المتشابه**، **والمشبه المقلوب ومن نسب إلى غير أبيه** والمنسوبون إلى **خلاف الظاهر والمبهمات**. وقد ذكر ابن الصلاح هذه الفنون في كتابه من النوع الثالث والخمسين إلى النوع التاسع والخمسين.

وبالمثل فإن بيان مواليد الرواة ووفياتهم فنّ مهم يعرف به اتصال الحديث وانقطاعه، فتكون حقيقة التاريخ التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال في المواليد والوفيات. وكذلك معرفة الثقات والضعفاء هي أيضاً من أهم الأنواع وأنفعها، لأنها هي السبيل الوحيد للتمييز بين الحديث الصحيح والسقيم. وقد ذكرهما الحافظ ابن الصلاح في كتابه في النوع الستين والحادي والستين ونظمهما العراقي وعنوانهما: **تواريخ الرواة والوفيات ومعرفة الثقات والضعفاء**.

ولقد جاء الحافظ ابن الصلاح في النوع الثاني والستين من كتابه "بمعرفة من خلط في آخر عمره من الثقات" وقال بأن هذا فن عزيز مهم. وذكر بعده في النوع الثالث والستين "معرفة طبقات الرواة والعلماء" ثم ذكر في النوع الرابع والستين "معرفة الموالي من الرواة والعلماء" ثم ذكر بعد ذلك في النوع الخامس والستين "معرفة أوطان الرواة وبلدانهم" ونظم العراقي هذه الأنواع كلها في العناوين الآتية: **معرفة من اختلط من الثقات**، و **طبقات الرواة والموالي من العلماء والرواة**، و **أوطان الرواة وبلدانهم**.

شروح هذه الألفية:

ويُعَدّ كتاب **علوم الحديث** للحافظ ابن الصلاح الشهير **بالمقدّمة** الأصل الذي تردّ إليه جلّ المؤلفات والمختصرات والشروح التي وصلت بعلم أصول الحديث أسبابها، ودارت حول متونها وشروحها حتى نظم الحافظ ألفيته في علوم الحديث. فتلقّاها العلماء بالقبول وشمّروا عن سواعد الجد في إيضاح مقاصدها وبذلوا أعظم الجهود في شرحها وكشف غوامضها.

١- وقد شرح الحافظ العراقي ألفيته بنفسه شرحاً كبيراً مُطوّلاً ولكنه لم يتممه وعدل عنه بعد أن مل من استطالته إلى شرح مبسوط، سمّاه: **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث**. وقد طبع هذا الشرح باسم **التبصرة والتذكرة**[٥١] وباسم **فتح المغيث**[٥٢]. وقد لخص هذا الشرح محمد أمين الشهير بأمير بادشاه[٥٣]، ثم علق القاسم بن قطلوبغا (٨٧٩هـ) بحاشيةٍ على هذا الشرح وكتب عليه الهوامش. وكذلك كتب برهان الدين بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ) حاشية على هذا الشرح وقد بلغ إلى نصفه وسمّاه **النكت الوفية في شرح الألفية**[٥٤].

٥١- **التبصرة والتذكرة**: (المقدمة) ٣٨/١.

٥٢- **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث** للإمام السخاوي، ط/١، ١٩٦٣م، طبعة بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٣٧م.

٥٣- المتوفى في حدود ٩٧٢هـ، **الأعلام**: ٤١/٦.

٥٤- **كشف الظنون**: ١٥٦/١.

٢- **شرح أبي الفداء إسماعيل بن إبراهيم بن جماعة الكناني** (٨٦١هـ)[٥٥].

٣- **شرح زين الدين أبي محمد عبدالرحمن بن أبي بكر المعروف بابن العيني** (٨٩٣هـ)[٥٦].

٤- **شرح قطب محمد بن محمد الخيضري الدمشقي** (٨٩٤هـ) وسمّي شرحه بـ: **صعود المراقي في شرح ألفية العراقي**[٥٧].

٥- شرح شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٩٠٤هـ) المسمَّى **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث**. وهو من أحسن شروح الألفية وأجودها[٥٨].

٦- شرح العلامة زكريا بن محمد الأنصاري (٩٢٨هـ) سمّاه: **فتح الباقي** وعلى هذا الشرح حاشية مطوّلة للشيخ العدوي الصعيدي توجد نسخة منها في خزانة الشيخ الكتاني[٥٩].

٧- **شرح إبراهيم بن محمد الحلبي**[٦٠].

٨- **شرح برهان الدين إبراهيم بن عطية**[٦١].

٩- **منحة المغيث بشرح ألفية الحديث**؛ للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي.

ميزات هذا الشرح الأخير:

إن هذا الشرح الأخير على ألفية العراقي يعدّ من أشرف الشروح وأكملها وأكثرها نفعاً لطلاب الحديث، وعلى الأخص للطالب الذي ليس لسانه عربياً ولا يعرف اللغة بكمالها ولا يدرك معارف الحديث بحذافيرها. فإن هذا الشرح جامع لأشتات العلوم والفنون، ويحتوي على إشارات مفيدة في علم النحو والصرف ويشتمل على إشارات بديعة في علم المعاني والبيان ويجمع أقوالا كثيرة من المعقول والمنقول ومن الحديث والفقه والكلام. وإننا لا نستطيع أن نذكر خصائص الكتاب بالتفصيل ولكن نريد أن نبرز بعض المزايا وأن نلمّ بها إلماماً سريعاً. وفيما يلي بعض مزايا هذا الشرح:

٥٥- **الأعلام**: ٣٠٨/١.

٥٦- **الضوء اللامع**: ٧٨/٤، **الأعلام**: ٣٠٠/٣.

٥٧- **الأعلام**: ٥١/٧.

٥٨- **كشف الظنون**: ١٥٦/١.

٥٩- **التبصرة والتذكرة**: ٢٨/١.

٦٠- **الأعلام**: ٦٦/١.

٦١- **الأعلام**: ٧٣/١.

الأول: إن المؤلف، كما هو منهجه في جميع مؤلفاته، جمع كثيراً من المعقول والمنقول وذكر النكات الفقهية إلى جانب المعارف الحديثية فصار هذا الشرح جامعاً بين أصول الحديث وعلومه وبين الفقه وأصوله. وهذا المنهج يذكرنا بـ: **الرسالة** للإمام الشافعي رحمه الله تعالى، فإنها أيضاً شاملة للحديث وأصوله جامعة لفروع الفقه وأصوله. يقول الشارح نفسه: "وأردتُ أن أورد فيه الخلاف بين الفقهاء والمحدّثين مع إيراد أدلة الفريقين وما أجيب به عن أحد الجانبين ليكون الكتاب جامعا بين الأصول الحديثية والأصول الفقهية.

وقد استفاد المؤلف في علوم الحديث كثيراً من شرح العراقي نفسه ومن **تدريب الراوي** ومن **شرح السخاوي**. واستفاد من الكتب الفقهية الأصولية كثيراً وعلى الأخص **التحرير** وشرحه **التقرير وفواتح الرحموت**، وأضاف إلى ذلك مختصراً مفيداً من كلام الأئمة الكبار، وجمع فيه أشتات ما تفرّق من لباب هذا العلم، وبدائع فوائده وغرائب نكته وفرائده. فجاء هذا الشرح محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين وملخص أنظار الفقهاء والمحدّثين.

الثاني: نظم الحافظ العراقي علوم الحديث لابن الصلاح وزاد في ألفيته على هذا الكتاب أمورا مهمة جداً تركها ابن الصلاح ولم يذكرها. وإن أغلب شروح الألفية قد غضّت الطرف عن الإشارة إليها أو على الأقل لم تهتم بالإشارة إلى المواضيع كلها. ولكن مؤلف هذا الشرح قد التزم بأن ينبّه على الزيادات التي زادها الحافظ العراقي على علوم الحديث لابن الصلاح.

الثالث: وقد أشار الشارح إلى وجوه من الإعراب وذكر قواعد من النحو حينما احتاج الكلام إلى ذلك. وشرح الكلمات العويصة شرحاً لغوياً.

الرابع: وقد فصل المؤلف المباحث العلمية تفصيلا وافياً ثم لخّصها قائلاً: "حاصله" أو "توضيحه" أو "خلاصة الكلام".

الخامس: وقد أفاض الكلام على بعض المباحث العلمية المهمة كالصحبة وعدالة الصحابة ودبّجها ببراعته الجميلة وعلمه الغزير ذاكراً لجميع تفاصليها، وبحثها بحثا دقيقاً شاملا لجميع نواحي الموضوع.

كما أبدع المؤلف في شرح كلمات **الألفية** بأسرها موضحاً كل مبهماتها، مفصلا جميع مجملاتها، فاتحا مغلقاتها، ورافعاً اللثام عن وجوه مخدراتها.

ولما صار هذا الشرح أكبر من قدر المصنف له، وعلم أنه منحة منحها الله تعالى إياه، سمّاه: **منحة المغيث بشرح ألفية الحديث**.

* * * *